

مع غزّة

حيادُ المثقّفين في معركة غزّة خيانة مفلح العدوان

ولغيم والطفولة والكهولة، بل حتى الهواء يرددون أن يتكما أنفاسه في غزّة نعلم. يؤرقني الإنسان الذي صار لا يعني شيئاً لعالم يُفترض أنه مدنيّ ومتحضّر ومتحيز، وساق علينا دروسه وتعاليمه وانظلمته التي شرّعت شرائع حقوق الإنسان، والديمقراطية، والحرية، وحماية الأسرة، ورعاية الطفولة، وبرامج الشباب، والعناية بالكهول، والرفق بالحيوان. هذه الديباجات كلها التي صدّقناها ذات زمن مضى، قبل السابع من تشرين الأول/ أكتوبر. وإيضاً ولا كلمة، حتى ولا دعاء.

فتناغي أن المدعو الحقيقي، كتابته ليست وليدة رفاه في العالم العربي، بل هي أمة الشخص، وحماية الغايات، والأشجار، وصبون المقدّسات، وقوائم حفظ التراث الثقافي وغير الثقافي للأمم. كل هذا صار أكلوميّة، ولكنّه يؤرقني، فغزّة ثنائية الإنسان والمكان، قبلة البحر على ثغر البر، حورية جميلة على سيرير النيري والري، دة نبيل في عروق جسد نبيّ. كل هذا غزّة، روح وريحان، معنى ومعنى، فنيقن يحلق بجناحي واقع إنسانه القريب، وتاريخ هذا المكان المهيب.

معهم يرددون تدمير الأثني، ولا راع لهؤلاء الهمج، وربة الشيطان، اعداء الإنسانية.

لحظة غزّة خيانة، قلت وأعيد: الحياي في معركة غزّة خيانة، قلنا ونبلة وخيانة أكبر عندما تصدّر من المدعوين والمثقفين والأدباء والإعلاميين.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي مكّنّ وفعل في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

إنها تجربة العمل، من يواجهه بالسلاح، ومن يستشهد، ومن يبعث، ويتفاعل في المعركة، ومن يغفل إحداثها، في حرب الإبادة هذه وفي مواجهة العدو الصهيوني الجميع له دور، وعليه أن يقوم به، والعمل الإبداعي ليس كتابة قصة ورواية وقصيدة، ولا هو لوحة فنية، وقيل سيمفوني. الإبداع الحق هو في كيفية قوليلة القصة لتكون حكاية شهيد، وتصير القصيدة نبض مقاوم، بينما اللوحة تعطى للتراث معنى فتصير أكثر فاعلية من قبيلة ولينا في ذاكرة وتاريخ الإبداع واللغويات نماذج وأسماء وإبداعات ضخما بديماهم، لأن إبداعهم مؤثر يؤذي العدو كما سلاح بغير تلقيني، وأصد هذا وأغنيه، وفي استشهائهم غسان كنفاني مثال، وكذلك ناجي العلي؛ واحد روائي، والآخر فنان استطاعت خطوط رسوماته أن تصيب العدو وتؤذيه.

■ أو يتّضح كل البدء من جديد، هل مستحار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعلم السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

المجال الإبداعي عنوان، وفيه تتفرع التخصصات الإبداعية، ولكن فيه المحتوى السياسي والنضالي الإنساني، لذلك المجال الإبداعي أوسع في دائرة العمل والفعل والتأثير والديمومة، ولتخفي في بداية

الإختلال غير الموسيقي في توتراتنا الحياية، حين انعدم العدل، تراجت الحريات، زاد الفساد، فقدت الشخصيات الراشدة مكانتها،

وتعثّ الاستعانة بطغاة ومفكرين ماجورين قادوا حربيا اتسعت سببها رفعة الفقر والجهل، وحدث اختلال شامل غاب فيه العدل، فالعدل أساس الملك، العدل الإس الأهم للحياة، أريد العدل للعالم، إذا تحقّق تغيرت أشياء كثيرة، وعاد الكون إلى مستقرّه الحقيقي.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تولّد لقاها، وماذا نسؤل لها؟

هو رمزٌ من رموز العدل صاحب الجملة الخلفية عبر التاريخ، الخليفة العامنا العربي فيه الجدوي الأكثر اجتماعياً واقتصادياً، وأثرث أن يكون موافقي وحياتي ومشروعوي هو في إطار الإبداع والكتابة، وعُثرت عن موقفي السياسي والإنساني والنضالي في كل ما كتبت، ولكن بشكل فني مختلف وفيه محاكاة لكثير من القضايا الوطنية والقومية والإنسانية.

■ ما هو التعبير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

العدل... على العالم أن يعود إلى أساسات الحياة والأنظم والنوازن وتوزيع الأوزار والخلافتات النفاهم أو العداة، وعلى من العصور كان هناك اعداء وأصدقاء، كانت هناك حروب واتفاقيات وتفاهمات، لكن لم تمزّ متفكّتا العربية والعالم يعمل هذا



مفلح العدوان (الصورة: نادر داود)

■ كلمة تقولها للناس في كل مكان؟

أن اوان تحرير العقل ممّا زرع فيه من مخلفات الاستعمار، غزّة قدمت درسا تاريخيا للاعتزاز والعزّة والتحرر، فلنكن بمستوى هذه اللحظة التاريخية الفارقة. انفض الغبار عن طائر الفينيق الذي يتجدّد بعد كل زمان، لقد حان وقت تحرّرك، وتحليّتك، وأول النهوض غزّة، فكن معها، لأن الحياي في هذا الوقت خيانة!

■ حين سُئلت العظة الجريحة دارين المياع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان ماذا تريدن من العالم، أجابت رسالتي للناس إنا بيبونا دارين وبيكورا لي رسالة أو أي إنسي... ماذا تقول دارين ولاطفال فلسطين؟

انتم ما عديتم أطفالاً، كبرتم قبل اعوامكم الأولى، دول غلّمي وجيوش جرارة تقااتكم، لقد فضحتكم أكتايب العالم حول حقوق الطفل الذي يدعيه العالم للتخصّص، لكنه مراقب صامت أمام ظلم الإحتلال والبشرية كلها يحقكم أطفال غزّة، أربعم امام جزنكم وما فعله الشُرّ فكم، واقتل اركلكم، وكل ما انتم عليه كله عليكم، وأصاب الوهن الأقرن، رغم كل ماأساة، للجنة على العالم الذي يشيخ فيه الأطفال قبل اوان إن يبنغوا!

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

انتم الإعلون، رغم الجراح والدماء وتامر الغم لكه عليكم، وأصاب الوهن الأقرن، الذين يراقبون وهم على مرسي النفاقات متكم، فلا يتحرّكون ولا يفعلون، وعدوّكم

قصيدة

كان الزمانُ زمانين في ارض واحدة الفصول الأربعة

سربّ جمعة دار يوسف

في شهر أيار جنث، وفي شهر أيار قد بدأت يا رفاق الحكاية.
كان الزمانُ زمانين في بقعة واحدة، خريف عُزّي شخيراتنا بيديّه.. وكان ربيعٌ يُفتّح زهرتهم في انشءاء.

هذا الخريفُ مشى في الشهل والجبل ناراَ تسيب بلا وعي على أهلّ يمشي وقوراَ خفيف الوطء مُتّخذاَ كَحَمّ قشّي فوق شواكٍ غير متعلّج وتشمّل الزرع والزيتون برْدتهُ فيفعل الأرض من خصب إلى محلّ وتنبئة التي قد ماتتْ وقد سقطتْ أوراقتها وتعرّزت دونما خجل تقصّ سيرةَ ماض فات حين غدت حواءُ قد ترّفل بين الغري والغطيل فألتصقتْ ثيابا من ملايسيا والبود وطلت وجواء بلا خجلّ والأوّ قد جفّ دنياها وقد هلّكت والطلل يبتكي بجاء العارض الهظيل وحذّنتْ وجونَ الحيّ فضّتها والشبخ يبكي بلا صوت على الطلل وعاش من شُجروا في غربةٍ معَهم فمناخُهم عيشة ضمكت على أهلّ بأنّ يعودوا كانّ الأرض ما عزّبت ولم يُغرّب بنوها وهي لم تحلّ

«بما مويل الهوى بيّا مويليه ضرب الخناجر ولا حُكّم الصهيونيه»

ومن الزمانُ علينا جميعا.. وصيّف طوليّ اتي، عمّ بقفّعتنا الواحدة الصيغ قام، وقام الصدق للكتب

وكانت أميمةُ إذ ذاك في المهيد ترضعُ اصغيتها وتقرّ كخيمتها تحت عصف الرياح وكانت قصورٌ شتّى في التلّ لميلها والخالون يحكّم السلاح.

وأدّ أميمةُ تمطّر طفلتها بالقلل.. وتُنشدُ في أدنّ طفلتها كل يوم بغير قلل: «بما مويل الهوى بيّا مويليه ضرب الخناجر ولا حُكّم الصهيونيه»

ويقطعُ صوتُ الرصاص الشنيد فلا يكتمل ويضربُ صوتُ الرصاص الجراح فلا تتدمل وظلّ الربيع عليهم ربيعا.. وحلّت علينا شهوّر الشتاء.

■ ■ ■

حلّ الشتاء وغطّى الدمع بالباطر وخذت الأرض بعد الجهل بالخير في كل ححةٍ قطرُ قصةٍ كُنّتْ في الدماء جرت في النبع والشُّرّ عن الشهيد الذي أودى وعائلةٌ لم تدب سخطا ولم تغضب على القدر في الحرج الذي ما زال ممتشقا سلاحه ليبرّد الضّرّ للخصّص

مراقب صامت أمام ظلم الإحتلال والبشرية كلها يحقكم أطفال غزّة، أربعم امام جزنكم وما فعله الشُرّ فكم، واقتل اركلكم، وكل ما انتم عليه كله عليكم، وأصاب الوهن الأقرن، رغم كل ماأساة، للجنة على العالم الذي يشيخ فيه الأطفال قبل اوان إن يبنغوا!

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.

عزيموه انتم، فصار او هن من بيت العنكيت. كبرتم، وتعاليمت، وتقرّم العالم وظلمه وازدواجية معايريه، فكُونوا الصامدين رمزا للحرية والتحرر والمقاومة الاسطورية.